عدد خاص
الكتابة والخط

المورد

مجلة تراثية فصلية محكمة
تصدر عن دار الشؤون الثقافية العامة - وزارة الثقافة
المجلد التاسع والعشرون - العدد الاول - ٢٠٠١م/١٤٢٢هـ

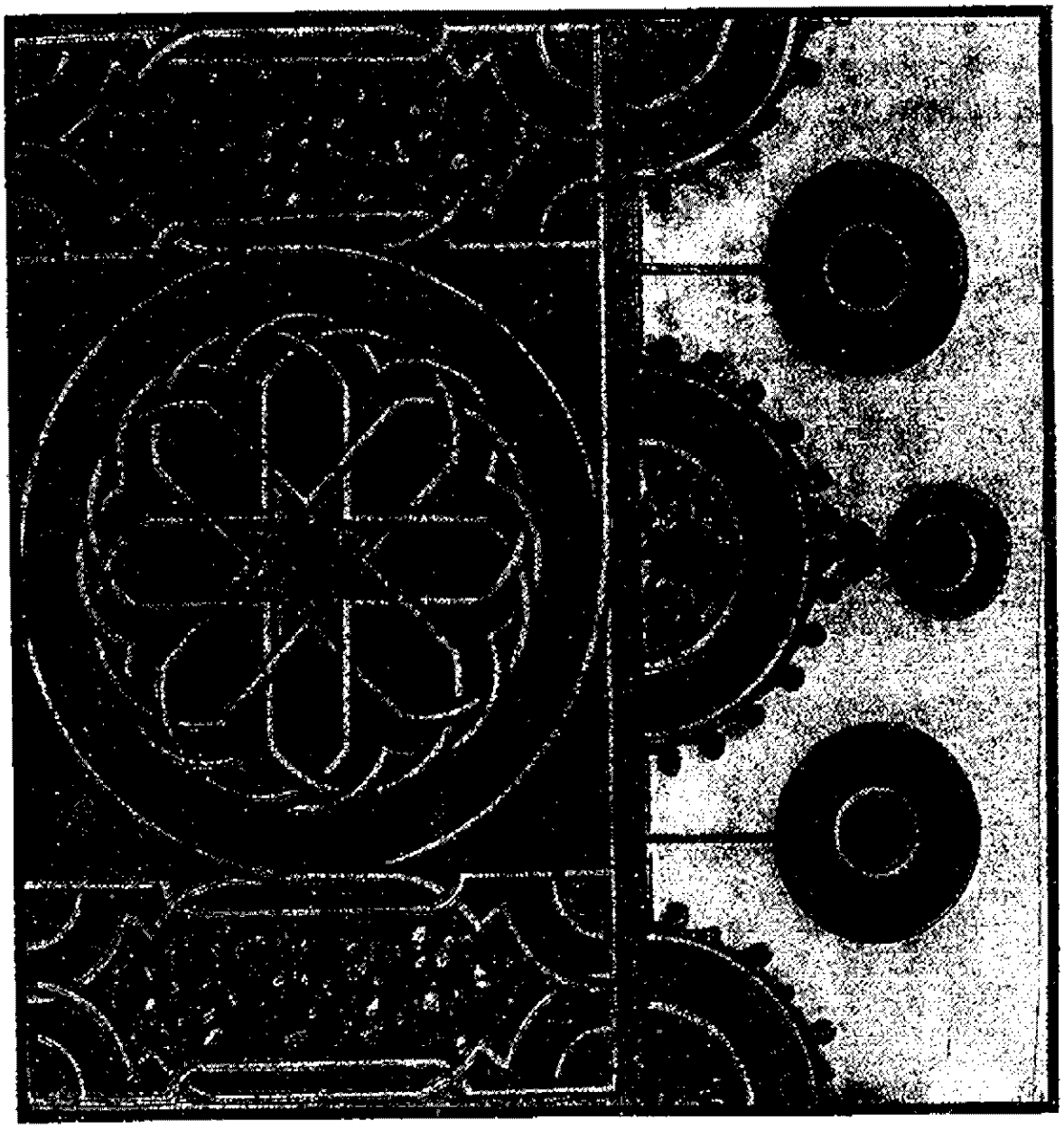

www.dorat-ghawas.com

المحتوى

■ المورد

الكتابة ... تميز الفعل المشهود ..... د . محمد البكاء ٢

■ بحوث ودراسات

فجر التدوين المعرفي ..... يعقوب افرام منصور ..... ٤ ـ ١٣

كتابة الصورة ..... د . حنا بقاعين ..... ١٤ ـ ٢٢

الكتابة والتطور الحضاري في العراق القديم ..... ترجمة / كاظم سعد الدين ..... ٢٣ ـ ٣١

التعليم في العراق القديم ..... أ . د . أحمد مالك الفتيان ..... ٣٢ ـ ٣٦

صور التعليم والحياة العلمية في الحضارة العربية الاسلامية ..... أ . د . مروان عبد الملك ..... ٣٧ ـ ٤٨

كتب وماصنع منها في القرآن الكريم ..... د . محمد عبد المطلب البكاء ..... ٤٩ ـ ٥٨

الكتابة في عصر ماقبل الاسلام ..... أ . د . محمود الجادر ..... ٥٩ ـ ٦٥

المعجم الوجيز في مصطلحات الكتابة ..... أ . د . عناد غزوان ..... ٦٦ ـ ٧٣

كتب القبائل وبواعث تدوينها ..... د . احمد اسماعيل النعيمي ..... ٧٤ ـ ٨١

ما كتب على الصيون ..... عبد القادر التحافي ..... ٨٢ ـ ٩٠

تطور الخط العربي في العراق ..... اسامة ناصر النقشبندي ..... ٩١ ـ ٩٥

الخط العربي في المكتبة الشرقية ..... ا . د . حسين علي محفوظ ..... ٩٦ ـ ١٠٠

الاصلاح والجمالية في الخط العربي ..... أ . د . ناهض عبد الرزاق ..... ١٠١ ـ ١٠٩

الخط الكوفي نو الشرفات ..... د . نسيبة محمد الهاشمي ..... ١١٠ ـ ١١٩

صناعة الحبر عند العرب ..... ناجي محفوظ ..... ١٢٠ ـ ١٢٧

■ نصوص محققة

شرح قصيدة ابن البواب ..... يوسف ذنون ..... ١٢٨ ـ ١٤٥

بليوغرافيا الخط العربي ومايتصل به ..... اعداد ـ حسن عربيي الخالدي ..... ١٤٦ ـ ١٥٦

في المكتبة ..... عرض د . هدى شوكت ..... ١٥٧ ـ ١٦٠

www.dorat-ghawas.com

فجر التدوين المعرفي

يعقوب افرام منصور

يحتاج الافصاح عن مكنونات الفكر والعاطفة ، عند الانسان المتحضر ، الى صوت ولسان وحروف لتسمية الاشياء ووصفها ، وللتعبير عمّا يعنّ له من خواطر وافكار وخلجات ومشاعر وافعال . فلما بلغ الانسان مدرجاً من الحضارة ، اوصله الى حصيلة معرفية ، اكتسبها من بيئته وتجاربه ومشاهداته وممارساته ، فطن الى ان تلك الحصيلة غدت في مسيس الحاجة الى تدوين ، بغية الحفاظ عليها من النسيان والتشتت والضياع والتحوير والتحريف ، وبغية الانتفاع بها لتنوير الاذهان وتهذيب نفوس الاجيال الحاضرة والقابلة . وكانت ولادة التدوين بعد اجتياز الانسان المتوطن المستتب مرحلة طويلة ، لجأ فيها الانسان القديم الى الرسم والتاشير على جدران الكهوف وسطوح العظام والصخور اولًا ، ثم تداول صنوف المعرفة شفاهاً ، توارثاً خلفاً عن سلف ، بالالفاظ التي اصطلح عليها مجتمعه من اسماء ونعوت وافعال وحروف ، وهذه المفردات كلها تؤلف عُدّة اللغة – لغة التسجيل – لغة الكتابة ، لغة التاريخ المدون ، لغة الحضارة المدونة . فكيف ومتى وفي اي بقعة من المعمور ، استنبط اول تدوين لغوي معرفي حضاري ، اكدته المكتشفات والتنقيبات الاثارية ، والدراسات والبحوث التاريخية والحضارية خلال القرنين المنسلخين ؟

ذكر المؤرخون كثيراً من الاكتشافات والاختراعات البدائية ، والاستنباطات الاولية التي تمت للانسان القديم قبل التاريخ المدون ، فقد مرت على الانسان القديم عصور مديدة ، خلت من كل تدوين كتابي ، لعجزه آنئذٍ عن تدوين اختباراته ، وعن الحفاظ على معارفه المكتسبة ، ونقل ابداعاته وافكاره الى الاجيال المقبلة ، لانه لم يكن قد استنبط الكتابة بعد . لذلك ، يُعد ظهور الكتابة فاصلًا بين عهود ماقبل التاريخ ، وبين عهود التاريخ المدون . فالكتابة ستبقى هي المعيار المميز الذي يفرّق الشعوب المتمدنة عن الشعوب البدائية غير المتحضرة .

استناداً الى المؤرخ الدكتور فيليب حِتّي ، ان اقدم وثائق مكتوبة تحدرت الينا من بلاد العراق القديم ، يعود زمن تدوينها الى ما قبل المسيح بثلاثة آلاف سنة بقليل ، وهذه الحقبة تعد بداية التاريخ المدون . فتكون مدة هذا التاريخ خمسة آلاف سنة ، وهي مدة – بالنسبة الى ما قبل التاريخ – تعد قصيرة جداً .

يضيف حِتّي قائلًا ان الشعب السومري في العراق القديم ، الذي استوطن تلك البقعة من الارض مع اقوام سامية كانت قبله ، كان اول شعب وضع نظاماً حسناً للكتابة .

ويعرف هذا النظام الكتابي بالخط المسماري (او الاسفيني) لان الوحدة الكتابية فيه تشبه المسمار (الاسفين) . فهم كانوا يخطون على الواح طرية من الطين بوساطة قلم ، اذا ما غُرز في الطين ترك طابعاً يشبه الاسفين في شكله ، ثم انهم كانوا يضعون الالواح الطينية في فرن لشيها فتصبح كالخزف[1] .

ان الخط المسماري خط مقطعي ، غير هجائي ، اي لكل صوت من اصوات الكلمة رمز خاص به ، ونشأته الاولى عن كتابة صورية . البابليون (وقبلهم الاكديون) وكذلك الآشوريون تبنوا هذا الخط عينه ، وظل معمولًا به حتى القرن الاول الميلادي . ولم يكن احد يستطيع قراءة الخط المسماري حتى سنة ١٨٣٧ ، عندما حل عالم انكليزي رموزه . وملذئذ تفتحت النوافذ المطلة على كنوز سومر واكد وبابل وآشور على كنوز دينية وادبية وتاريخية وعلمية ، بل مدرسية ايضاً ووثائق قضائية ومعاملات بيع / شراء . عندئذ استطاع العلماء ان يعيدوا تاريخ نشوء الحضارة عند اقدم المجتمعات البشرية ، منذ عهدها الاول ، وبناء على وثائق كتابية وآثار اركيولوجية ، استخرجها المنقبون من بطون المدن الدفينة التي مستقرها الاول على ضفاف دجلة

www.dorat-ghawas.com

والفرات اولًا ، ثم بعد قرون على ضفاف النيل ، حيث استنبط المصريون القدماء نظاماً آخر للكتابة - بعد ظهور الخط المسماري - عرف بالخط الهيروغليفي (اي الخط المقدّس) الذي استخدمه كهنتهم للاغراض الدينية ، وهو ايضاً خط مقطعي نشأ عن خط صوري[٣] .

ذكر المؤرخ والمفكر هربرت ولز في كتابه (موجز تاريخ العالم) : منذ الالف السادس او السابع ق . م . قامت مجتمعات شبه ممدنة ، حينما كان الفرات والدجلة يصبان في الخليج العربي بمصبين مختلفين ، وشيد السومريون اوائل مدنهم على الارض المحصورة بينهما . ويظهر ان هؤلاء السومريين كانوا شعباً اسمر له انوف ناتئة ، واستعملوا نوعاً من الكتابة ، حُلت رموزه ، فباتت لغتهم الآن معروفة . وقد اكتشفوا البرونز ، واقاموا معابد كبيرة كالابراج من الطوب المجفف في الشمس . وطين تلك البقعة ناعم جداً ، ومنه اتخذوا الواحاً يكتبون عليها . لذا بقيت كتابتهم محفوظة الى اليوم . ويلوح ان كل مدينة سومرية كانت على وجه العموم دولة مستقلة ، لها رب خاص وكهنة خصوصيون . وقد عثر على كتابة سحيقة القدم جداً في (نيبور) تعود الى الالف الثالث ق . م . (اطلالها في « نُفَر » الحالية قرب اطلال بابل و (كيش) التي اطلالها « تل الاحيمر » قرب الحلة وتعود الى الالف الثالث ق . م . ايضاً . ومما ورد في تلك المدونة اسم « امبراطورية » مدينة (اريتش) السومرية - هي اوروك الواردة في احد اسفار التوراة بصيغة « ارخ » - وهذه الامبراطورية هي اول ما ذكر التاريخ من امبراطوريات ، وكان الهها وملكها الكاهن يدّعيان ان سلطانهما ممتد من الخليج العربي الى البحر الاحمر[٣] . وقد اورد (كرامر) في كتابه (التاريخ يبدأ في سومر) عن هذه المدينة (اوروك = ارخ) انها كانت موجودة قبل الالف الثالث ق . م . وقامت بدور سياسي بارز في تاريخ سومر ، وان تلك المدوّنات كانت مكتوبة بخط شبه صوري ، تعود الى الالف الثالث ، وبعده سرعان ما استنبطت الكتابة اول مرة في التاريخ[٤] .

يضيف (ولز) قائلًا : كانت الكتابة في البداية مجرد طريقة مختزلة من التدوين التصويري تعود اولياتها الى عهد سحيق في القدم حين شرع الانسان قبل العصر الحجري الحديث ينقش تسجيلًا لاحداث صيد وحملات حربية ، بدت في معظمها الاشكال البشرية برسوم واضحة ، وفي بعضها لم يهتم النقاش بالرأس والاطراف ، بل اكتفى برسم الشخص بخط رأسي وخط آخر افقي او اثنين . وكان يسيراً الانتقال من التدوين الصوري هذا الى كتابة تقليدية متطورة . وما لبثت خدشات الحروف في كتابة سومر ، التي كانت تكتب على الطين بعود او قصبة ، ان غدت بعيدة عمّا تمثله من صور ، حتى ما عاد في الامكان تمييزها[٥] . واللغة السومرية مكوّنة من مقاطع متراصة ، تكاد تماثل بعض لغات الهنود الحمر المعاصرة ، وقد استجابت في يسر لهذه الطريقة المقطعية في كتابة الكلمات المعبّرة عن افكار لا يستطاع نقلها بطريق الصور مباشرة[٦] .

لا جدال ان اختراع الكتابة كان ذا اهمية كبرى في تطور المجتمعات الانسانية نحو التحضر والتمدين ، اذ افضى الى تسجيل الاتفاقات وتدوين القوانين وتحرير الوصايا والمعاملات وغير ذلك ، وهيأ السبل لنمو دول اكبر من دول المدن القديمة في سومر وغيرها ، ولظهور وعي تاريخي متواصل ، ويسر امر ابراد الرسائل المحررة الى اماكن قصية عن مجال بصر وصوت الملك او الحاكم او الكاهن ، كالتي عُثر عليها في تل العمارنه بمصر وفي مواقع اخرى ، وان تبقى تلك الرسائل بعد موت اولئك عصوراً طويلة . ويقول (ولز) في صدد توقيع وختم الرسائل : ولعل مما يشوقك ان تلحظ ان الاختام كانت تستعمل بكثرة في بلاد سومر القديمة . فالملك او النبيل او التاجر كان يتخذ له خاتماً محفوراً حفراً فنياً جميلًا ، يطبعه على اي وثيقة طينية (رقيم) يريد المصادقة عليها . ثم يجفف الطين بعد ذلك ويغدو مستديماً . فكم اقتربت الحضارة آنئذ من الطباعة منذ ستة آلاف سنة ؟ فينبغي على القاريء ان يتذكر ان ارض الجزيرة ، ابان ما لا عديد له من السنين ، كانت فيها الرسائل والسجلات والحسابات ، تكتب جميعاً على الواح غير قابلة للبلى نسبياً . والى هذه الحقيقة ندين بثروة عظيمة من المعارف المسترجعة من بطون الثرى .

في هذا الصدد ، يقارن (ولز) بين حضارة السومريين المتقدمة ، وبين حضارة متقدمة اخرى لاحقة لشعوب (المايا) في امريكا الوسطى (هندوراس - غواتيمالا - شبه جزيرة يوكاتان في المكسيك خلال الحقبة ٦٠٠ - ١٦٨٧ م ، فيقول : إن مظاهر الحياة اليومية في سومر لا تختلف كثيراً عن مظاهر الحياة اليومية بمدن (المايا) في امريكا الوسطى ، ولكن الثانية قامت بعد السومريين بثلاثة او اربعة الاف سنة ![٧]

« بين النهرين » ارض خصبة للتنقيبات الآثارية

مع ان حضارة وادي الرافدين اقدم من حضارة المصريين القدماء (وادي النيل) بزهاء خمسة قرون ، فإن اكتشاف كتابة المصريين الهيروغليفية (التي وضع نظامها بعد وضع النظام المسماري) كان اسبق من اكتشاف الكتابة المسمارية لاكثر من سبب واحد ، في مقدمة ذلك حجر رشيد المكتشف في عام ١٧٩٩ المنقوش بثلاث لغات : الايموطيقية واليونانية والهيروغليفية ، وهذه الاسبقية في

www.dorat-ghawas.com

الاكتشاف اعانت شامپوليون الفرنسي على فك رموز الكتابة الهيروغليفية ، ثم إلمام العلماء والآثاريين بالكتابة الهيروغليفية ، وخصوصاً بعد ان وضع شامپوليون معجماً هيروغليفياً قبل منتصف القرن التاسع عشر ، كما اعانت هذه الاسبقية على اجراء بعض التنقيبات في مصر ، وقراءة وثائقها قبل اجراء التنقيبات في بلاد الرافدين ثم قراءة الالواح المسمارية[٨] .

مع ذلك ، فمنذ مطلع النصف الاول من القرن العشرين ، وبلادنا « ما بين النهرين » تتصدر كتب الآثار والتاريخ القديم ، وكان هذا التصدر نتيجة جهود مضنية ، رافقتها عقبات وصعاب عديدة واجهها خبراء التنقيبات وعلماء « الآشوريات » القلائل الذين انهمكوا في المهمّات الملقاة على عواتقهم او التي واجهتهم . وقد عد علماء الآثار وخبراء التنقيبات بلاد ما بين النهرين ارضاً خصبة للتنقيبات الاثرية ، بسبب قدم البلاد السحيق والمدنيات الكثيرة التي ازدهرت فيها جنباً الى جنب ، والاهم من ذلك وجود الرِقَم الطينية المسمارية فيها ، التي لم يعتورها البلى على الرغم من انصرام ستة آلاف عام على انطمارها ، لان الطين المفخور مادة لا تبلى ، وخصوصاً اذا كانت من نوع جيد خالٍ من الاملاح (بغسله بالماء جيداً وتنقيته من الشوائب) وكان مشوياً او مجففاً .

لقد فخر اجدادنا السومريون والآشوريون والبابليون وثائقهم من الرِقَم الطينية احياناً ، وفعلوا الشيء نفسه بعقود المصالح والمعاملات المهمة لكي تظل سالمة تماماً من الدمار . وفخروا ايضاً الرقم الطينية التي اعتزموا استخدامها للتعليم ، ووضعوها في المكتبات لتقرأ باستمرار . بيد ان عدداً كبيراً من الوثائق كان غير مفخور ، مما جعل التنقيبات في العراق تجرى دائماً بحيطة شديدة[٩] .

قال الاستاذ ادوار كيبرا في كتابه (كتبوا على الطين) : « ان هذه الرِقَم الطين الصغيرة ومعها جميع انواع السجلات بدأت تتراكم في اعداد كبيرة منذ فجر الالف الثالث ق . م . ، واستمرت في التراكم حتى بداية العهد المسيحي . وهكذا يكون لدينا خط غير منقطع من الوثائق يشمل كل مظاهر المعرفة التي مرت خلال هذه العصور ، ومن خلالها نستطيع تتبع التبدلات في العقائد الدينية والاحوال الاقتصادية وعادات الحياة اليومية . والواقع اننا نستطيع من خلالها ان نستقصي مراحل الحضارات القديمة ، ونطلع على تفصيلاتها الدقيقة . »[١٠]

يفيدنا الدكتور محمود الامين (مترجم كتاب كيبرا) : ان في اسماء مدن العراق القديمة – التي كانت موجودة قبل ظهور السومريين وكتابتهم الاسفينية – تشابهاً كبيراً مع اسم (العراق) ، وهذه المدن ثلاث : اوروك (URUK) – الوركاء الحالية او ايرك التوراتية – واوروكوگ(URUKUG)ولاراك (LARAK) ، ونظرا الى التشابه اللفظي القائم بين او = U) في لغة سكان بلاد وادي الرافدين الجنوبية القدامى وبين (ع) العربية او السامية الغربية (اذا لم يكن الحرفان حرفاً واحداً) وكذلك التشابه القائم بين (ك) في اسماء المدن الثلاث المذكورة ، وبين الحرف (ق) في كلمة (العراق) وهذا التماثل الكبير في اصوات مقاطعها الاولى ، وفي مقاطعها الاخيرة ، يحمل المرء ان يعد تسمية (العراق) هي مجموعة اسماء هذه المدن الثلاث . فما ورد في معجم (لسان العرب) عن تسمية العراق ، وما نقله ابن دريد عن الاصمعي بأن (العراق) تعريب (ايران شهر) ، يقول الدكتور محمود الامين ، لا تعدو عن كونها تفسيرات غير علمية للكلمة (عراق) لا تستند الى اساس تاريخي مطلقاً ، وانما هي تفاسير تخبر عن جهل المفسرين بتاريخ العراق القديم واسماء مدنه[١١] . ويقول الدكتور فوزي رشيد في كتابه (اور كاجينا) : ان « المدن المقدسة » تلفظ باللغة السومرية « اوركو » ، هذه التسمية قريبة جداً من كلمة (العراق) التي أطلقت على القسم الجنوبي من بلاد وادى الرافدين[١٢] .

لقد اوردت هذين الاقتباسين لتعلق موضوعهما بحضارة بلدنا (العراق) المعدود « مهد الحضارة الاولى » ، ولان اهم مدن هذه البقعة الغنية بآثارها تدعم اسبقيتها في التدوين المعرفي ، في التاريخ المدون ، هي مدينة « اوروك » (او الوركاء او ايرك) التي تعد مركز الاشعاع الحضاري قبل ظهور الكتابة السومرية في حدود عام ٣٢٠٠ ق . م . وفي الادوار التاريخية القديمة[١٣] .

افادنا مترجم كتاب (كتبوا على الطين) ان البروفيسورين (لاندسبرغر) و (كرامر) استدلا ان السومريين الوافدين الى جنوبي بلاد وادي الرافدين حيث استقروا في منطقة الجزر والاهوار (التي عرفها الآشوريون ببلاد البحر) وجدوا ثمة حضارة مزدهرة : من اسماء ادوات الزراعة والقوارب ، واسماء بعض الحاصلات ، واسماء المدن : اور ، اريدو ، الوركاء ، شروپاك وغيرها ، واسمي دجلة (أدكنا) والفرات (بوراتم) ، والتي هي ليست اسماء سومرية وانما هي من لغة البلاد الاصليين . ولذلك كان من ندعوهم بالسومريين – على وفق اللغة التي كتبت بالخط المسماري – قد الفوا موجة غازية سيطرت على الناحية السياسية في البلاد . ولا يغرب عن البال ان النسبة تعود الى تسمية جغرافية هي « شوميرم » التي ذكرها الاكديون الساميون الغربيون في حدود ٢٥٠٠ ق . م . كما ذكرها

www.dorat-ghawas.com

بعدهم البابليون والآشوريون . ويضيف الدكتور الامين ان السومريين جاؤوا من جزر الخليج ، وبخاصة من جزيرة (تلمون) او (دلمون) - التي هي (البحرين) الحالية - ومعهم تراتيلهم الدينية واساطيرهم ، وان دائرة حضاراتهم واستيطانهم شملت ، فضلاً عن منطقة الخليج ، رقعة نهر كارون ومنطقة الاهواز (عربستان الحالية) . ومهما يكن من امر هؤلاء الذين نسميهم بالسومريين ، فانهم من جنس البحر المتوسط ، الذين يتميزون بالجمجمة المستطيلة (DOLICHO - CEPHALIC) كسكان الجزيرة العربية بأسرها ، والذين نطلق عليهم التسمية الحديثة : « العرب »[١٤]

وقد دلت التنقيبات التي أجريت في تل مدينة اربيل ان السومريين عرفوا هذه المدينة بإسم (URBIL = اربيل) واستوطنوها في حدود عام ٢٥٠٠ ق . م . ، ثم اصبحت تعرف عند الآشوريين بإسم « أربا إيلو » - اي مدينة الآلهة الاربعة . ومن رأي الاستاذ (كيبرا) أنه كان في اربيل سكان اصليون غير معروفي الهوية بشكل جيد ، ومن المحتمل ان السومريين اجلوهم عن اماكنهم التي لبثوا فيها ردحاً طويلاً ثم اخرجوا منها بعدئذٍ او اندمجوا باقوام آخرين[١٥] .

في الفصل الرابع من كتاب (كتبوا على الطين) ، قال المؤلف عن « فجر المعرفة » في العراق : « ان السائح الذي يتجوّل في انحاء العراق اليوم ، ولا يمرّ في طريقه على منطقة اثرية تجري فيها تنقيبات ، فإنه لن يدرك ان هذه التلول التي تحيط به من كل مكان يزوره ، تلال تحوي تحتها مدناً قديمة ، لانه ليس هناك آثار ضخمة تجذب انتباهه ، كما انه لن يتصور انه قد يطأ مكاناً في اثناء تجواله ، من المحتمل انه كان سوقاً مزدهراً في مدينة عامرة ، او ان تحت قدميه اطلالاً لمعبد مشهور . والواقع ان المكان قد هجر الآن ، ولن يتوقع ان الصحراء التي تحيط به كانت في وقت ما حديقة غنّاء ، وان السكون المطبق الذي يلفه الآن من جوانبه كان فيما مضى يعجّ باصوات شتى للهجات مختلفة وحضارة راقية . »[١٦]

ان السياح الاوائل الذين قدموا الى العراق ، لم يعرفوا انهم كانوا على مقربة من الموقعين التاريخيين نينوى وبابل ، حتى من كان ضمنهم ذوو عقول علمية ، او عرفوا من التوراة وجود هاتين المدينتين ، وفتشوا عن موقعيهما ، ووطئوا اطلالهما مرات عديدة . لكن الاهالي في بلادنا كانوا يعثرون على الرقم الطينية المدونة في اثناء عملهم اليومي ، فكانوا يعرضونها على السياح الذين لم يهتموا بها ، لانه لم يدر بخلدهم ان هذه الخطوط الصغيرة ، المتجمع بعضها الى بعض ، وتماثل طبعات المسامير ، يمكن ان تمثل اسلوباً كتابياً . وللسائح الايطالي (بيترو دلافالي) فضل السبق المتميز بين السياح في ادراك ان خطوط هذه الرقم هي كتابة . فاقتنى احداها وابردها الى متحف (كرجريان) حيث ما زالت حتى الآن اول وثيقة مسمارية احتلت موضعاً في متحف اوربي . فكان ان تناظر العلماء وتجادلوا بشأن هذه العلامات : اكانت زخارف او نقوشاً ، ام اسلوباً تدوينياً غير معروف ؟! ومع انه من غير المتوقع من جميع السياح او من آخرين ان يضارعوا نباهة هذا السائح الايطالي وادراكه ، فقد اتضح للمعنيين بالآثار والتنقيبات ان بلاد ما بين النهرين هي بلاد بابل وآشور القديمة ، ثم عرفوا لاحقاً انها بلاد سومر ، نسبة الى السومريين الذين نزحوا اليها واستوطنوها مع اقوام سابقة متحضرة ، وعايشوا اقواماً معاصرة ، منهم الاكديون الساميون الذين كانت لهم حضارة مزدهرة ، واسس دولتها القوية سرجون الاول نحو ٢٣٣٥ ق . م ، ودامت زهاء قرنين ، وحلت لغتهم - بعد ردح - محل اللغة السومرية ، وقد شاعت لغتهم (الاكدية) شيوعاً واسعاً عظيماً ، متبنية الخط المسماري ، حتى غدت لغة التخاطب الرسمي بين الدول ولغة الدواوين ولغة قوانين حمورابي الشهيرة .

بعد بادرة السائح الايطالي (دلافالي) ، اهتم (اميل بوتا = EMILE BOTTA) القنصل الفرنسي في الموصل ، بالتحري للوقوف على المميزات الحقيقية لبعض القطع الغريبة من المنحوتات التي اكتشفها الاهلون في تل (قوينجق) وتل (معلثايا) بقرب مدينة دهوك ، ثم في (خرساباد) التي تناى ١٤ ميلاً عن الموصل ، فطلب اليه المستشرقون الفرنسيون ان ينقب في عدد من المدن الآشورية ، فكشف تنقيبه في عام ١٨٤٢ في تل (قوينجق) عن مدينة نينوى الآشورية ، وفي عام ١٨٤٣ في (خرساباد) عن مدينة (دور شروكين) التي شيّدها عاصمة اعظم ملك آشوري هو سرجون الثاني (٧٢١ - ٧٠٥ ق . م) . وفي الحال ، التحق به الفنان الفرنسي المعروف (فلاندن) الذي قام برسم المنحوتات واستنساخ الكتابات المسمارية . وفي سنة ١٨٤٦ شحن الاثنان (بوتا) و (فلاندن) عدداً كبيراً من المنحوتات الى باريس . ونشر (بوت) خمسة مجلدات ضخمة عن نتائج حفرياته في خرساباد ونينوى ، طبعت في باريس خلال الاعوام ١٨٤٦ - ١٨٥٩ .

بعد تنقيبات (بوتا) الرائدة النشطة في هذا المجال ، التي نبّهت الناس على حقيقة مدنية عظيمة مندرسة برزت للنور ، نشأت قواعد علمية لعلم آثار ما بين النهرين ، طفق المستكشفون والآثاريون يجوبون بلادنا تلقائياً ، محاولين اكتشاف اكثر ما يمكن من اللقى المطمورة . فكان اهتمامهم الاكثر بالكشف عن القطع الكبيرة

www.dorat-ghawas.com

من النحت البارزة والتماثيل الضخمة التي حافاتها كانت تحمل اشارات غريبة محفورة غامضة ، واذا عثروا في تنقيباتهم على رقم طينية ، رموها بعيداً مع الاتربة .

لكن المصادفات كان لها دور بارز في الكشف عن حقيقة هذه النقوش او الاشارات الاسفينية المطبوعة على الالواح الصلصالية المجففة او المشوية في بلاد الرافدين . فقد لاحظ الرحالون كتابات عديدة منحوتة على الصخور في (پرسيپوليس) القديمة في ايران (تخت جمشيد الحالية قرب اصطخر) ، وكانت الكتابات بثلاث لغات : الفارسية القديمة (الاخمينية) ثم عرفت لغتان اخريان لاحقاً : بابلية وعيلامية . فاسترعت تلك الكتابات انتباه احد مدرّسي المدارس الثانوية الالمانية ، وبمساعدة آخرين له من علماء انفقوا شهوراً عديدة سدى باشتغالهم على انفراد ، ثم العمل مجتمعين ، اذاع العلماء اخيراً نتائج حلهم رموز الصيغ الكتابية باللغة الفارسية الاخمينية اولاً ، فغدت هذه الصيغ مفتاحاً ، حلوا به المجموعتين اللفويتين الاخريين . غير ان حل الصيغ البابلية جابهت مشكلة عويصة ، لانها لم تكن مدونة بالحروف الابجدية ، بل كانت مماثلة للكتابة السومرية المؤلفة من مقاطع صوتية ، لكل منها اشارة بالخط المسماري ، ومجموع هذه الاشارات او المقاطع الصوتية يكوّن الكلمة . واحتوت على اشارات ذات مدلولات لمعنى واحد او لمعانٍ عدّة . فالكتابة البابلية تحوي اكثر من ٤٧٢ اشارة مسمارية . غير ان الاناس الآخرين (غير العلماء المعنيين) ارتابوا اولاً في صحة هذه النتائج والحلول ، ولبثوا مدة مستوضحين . فوجب على الباحثين آنئذٍ ان يبرهنوا على ان المفتاح الذي وجدوه كان حقيقياً ، لذلك ، ارتؤي اجراء امتحان تجريبي لاربعة من اولئك العلماء ، فقدمت لكل منهم نسخة من الكتابة المسمارية لترجمتها بغية التأكد – من خلال مقارنة النصوص المترجمة – ان ابحاثهم في حل رموز هذه الكتابة بلغت مرحلة وافية من التوفيق ، جديرة بإعلانها على الرأي العام . ومع ان الترجمات التي انجزها هؤلاء العلماء الاربعة ، جاءت في بعض النقاط متباينة ، الا انها كانت متماثلة في نقاط كثيرة ، سوغت قيام حقل جديد من العلم ، سمي بـ« الآشوريات » ، فرحبت به الاوساط العلمية . ومع مرور الوقت ، احرز العلماء تقدماً ملموساً في هذا العلم ، واتضح ان اللهجتين الآشورية والبابلية اصبحتا ميسورتي القراءة ، خلا بعض الصعاب التي اعترضت سبل المختصين في قراءتها . ومن هذه الصعاب وجود عدد من الناس شككوا في صحة قراءة الخط المسماري ، لكن ذلك لم يدم طويلاً ، اذ سرعان ما توارى وزال . وكان من نتائج التنامي في معرفة اللغة البابلية ان اصبح العلماء ، بمساعدة اللغة البابلية اقدر على فهم اللغات السامية الاخرى المثيلة ، حتى انهم استعانوا بالمفردات الآشورية على معرفة المعنى الصحيح للكلمات العبرية[١٧] .

للمستزيد في الوقوف على حل رموز الكتابة السومرية والبابلية والعيلامية والكلدية ، وعلى اسماء الجهابذة الذين اسهموا في هذا المسعى الكبير المهم ، ان يراجع مقالاً نشرته مجلة (الادب والفن) اللندنية الصادرة عام ١٩٤٥ (الجزء ١ – السنة ٣) .

وقد آل التنامي في الاهتمام بالآشوريات الى بروز الرغبة – قبل نصف قرن في المدارس وحلقات تدريس العلوم اللاهوتية – في الابتعاد عن اللغة العبرية بعد ان احتلت الدراسات الآشورية في عدد من المعاهد الجامعية مكانة مرموقة ، وغدت موضع اهتمام العلماء[١٨] .

« الابجدية القديمة »

يرى مؤلف (كتبوا على الطين) انه لا يمكن الجزم اذا كان سكان بلاد ما بين النهرين الاصليين هم اول من حاولوا وضع الكتابة ، وليسوا السومريين الذين وفدوا الى هذه البلاد واستوطنوا فيها ، ولكن من المحتمل ان السومريين قد اسهموا في تطوير الكتابة وتقدمها بالطرق الخاصة المؤدية الى بروزها بالخط الاسفيني . بيد ان المعلوم هو ان السومريين اهتموا اهتماماً شديداً في فن الكتابة ، واستخدموا كتابتهم في مطلع حضاراتهم ، وعدوا حضارتهم اعرق حضارة ، بدليل ان نصوصهم الكتابية الاولى تحدثت باستخفاف عن الاقوام الرحل الذين نعتوهم بكونهم (اناساً لا يعرفون السكنى في بيوت ولا يزرعون القمح) . غير ان من العسير الجزم : متى واين حدثت اول محاولة تدوين ، وعليه من العجز القول بأن الطين قد استعمل في بداية نشأة الكتابة . ثم يستطرد (كيرا) قائلاً : « اذا نظرنا الى الموضوع بإنصاف ، جهد المستطاع ، فإننا نعتقد بأن السومريين اتبعوا اسلوباً خاصاً بهم في الكتابة ، وقد توصلوا الى ذلك بعد ان سلكوا طريقاً طويلاً متقناً . اذ ليس هناك شخص معين يمكن ان يعد اول رجل في التاريخ جلس للكتابة . فذلك المجهود الرفيع للجنس البشري ، الذي مكّن بقاء الحضارة العريقة بنقلها الى الاجيال المتعاقبة ، كان من ثمار اولئك الناس الاوائل الذين اخترعوا الكتابة . ثم انه حصيلة التطور البطيء . »[١٩] فمن المؤكد ان السومريين او غيرهم من سابقيهم قد بدأوا الكتابة اولاً بصورة صغيرة في الازمان السحيقة .

ولما كانت الحاجة ام الاختراع ، فقد كانت جميع الصور السومرية مقرونة بالكلمات التي تقرأ بها . وقد بذل الكتاب جهوداً لتغدو صورهم مطابقة للاشياء الاصلية بدقة

www.dorat-ghawas.com

قدر المستطاع ، بجمع كل انواع الخطوط على شكل المسامير ، ولكن ذلك كان جهداً مضنياً من غير نتيجة مقبولة . فلقد اختفت الصورة شيئاً فشيئاً بالرغم من كل المساعي المبذولة لابقائها . حتى بالتدريج اصبح ان يكون الاهتمام الرئيس بكيفية ابقاء هذه العلامات الكثيرة محتفظة كل واحدة بطابع خاص يميزها من غيرها كي لا تفدو متشابهة لدى القاريء ، فتختلط بعلامات اخرى[٢٠] .

وفيما يأتي صورة مستقاة من كتاب (كتبوا على الطين) تبين كيفية تطور الكتابة من الصورية الى المسمارية بنوعيها البابلي والآشوري مع المعنى الاصلي لكل معنى او لفظة ، ولا غرو ان العنصر الفاعل وراء كل هذا التطور كان الطين ، وسيط الكتابة ومادتها الرئيسة .

ولغرض المقارنة ، نقدم جدولاً آخر يعرض تطور الكتابة لـ(١٨ مفردة من النظام الصوري الى النظام المسماري ، مستقاة من كتاب (صاموئيل كرامر) المعنون (التاريخ يبدأ في سومر) خلال ٧ مراحل عبر المدة ٣٠٠٠ سنة – ٦٠٠ سنة ق . م .

الصورة (١)

المعنى الاصلي	الكتابة الصورية	المسمار البابلي الاول	انتقال الكتابة الصورية الى الكتابة المسمارية	الكتابة المسمارية
طير				
سمك				
حمار				
ثور				
شمس نهار				
علف				
بستان				
حرث زرع				
ذرف تبكي				
يقف يذهب				

بعض طرق الكتابة المسمارية الاصلية والمتطورة

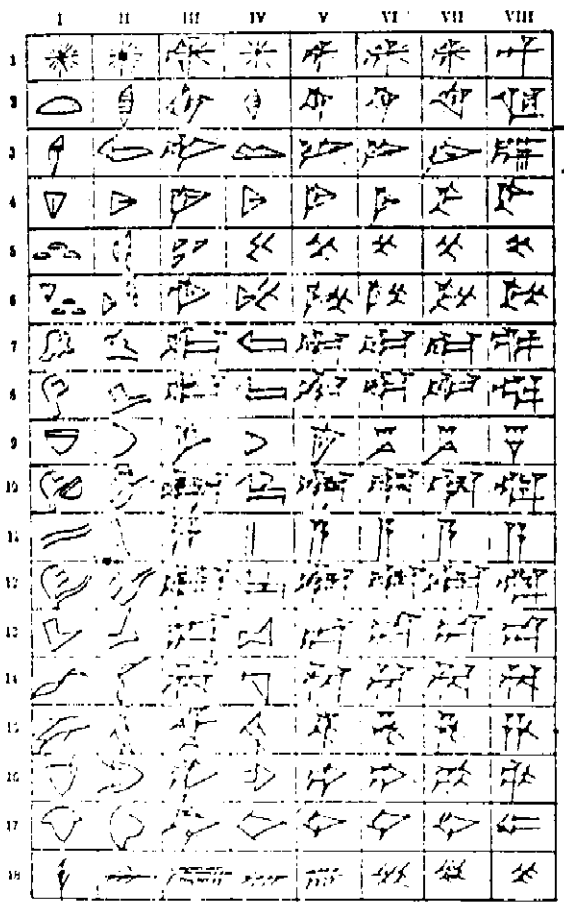

الصورة (٢)

« أوائل » المدوّنات في كل فرع

استناداً الى ما قاله البروفيسور (كرامر) في مقدمة كتابه (التاريخ يبدأ في سومر)[٢١] طبعة ١٩٦١ ، ثمة حقيقة جديرة بالافصاح عنها ، هي انه قبل قرن سلف ، لم يكن يعرف شيء حتى عن وجود السومريين في الازمان الخالية ، وحين شرع الآثاريون والعلماء قبل زهاء مئة من السنين في التنقيب في ذلك الشطر من الشرق الاوسط المعروف بـ« ما بين النهرين » ، كانوا يبحثون عن آثار الآشوريين والبابليين وليس السومريين . فقد كان الآثاريون والعلماء حائزين على معلومات غزيرة عن هذين الشعبين من مصادر اغريقية وعبرية ، اما عن بلاد سومر والسومريين ، فلم يملكوا اي الماعة او معلومات طفيفة . وحتى في جميع المخلفات الادبية والمؤلفات المتوافرة للعلماء المعاصرين ، لم يكن اي ذكر دال على ارض وشعب سومر وشعبها ان مجرد اسم (سومر) قد مسح من ذاكرة الانسان وذهنه لاكثر من الفي سنة .

مع ذلك ، غدا الشعب السومري الآن واحداً من اكثر الشعوب المعلومة في منطقة الشرق الادنى القديم . فنحن نعرف مظهرهم وهيأتهم من تماثيلهم وقطعهم الاثرية المنقوشة المتفرقة في عديد من المتاحف المهمة في هذا القطر او عبر البحار . هنا ايضاً ، سيعثر على شواهد مادية من حضارتهم وثقافتهم – الاعمدة وقطع الطابوق التي بها

www.dorat-ghawas.com

شيدوا معابدهم وقصورهم ، وكذلك ادواتهم واسلحتهم واوعيتهم الفخارية ومزهرياتهم ، وقياثيرهم ومجوهراتهم ومصوغاتهم . علاوة على ذلك ، ان الواح الصلصال السومرية ، بعشرات الآلاف ، المدون عليها وثائق تجارية وقانونية وادارية ، تزاحم مجموعات هذه المتاحف عينها ، وقد زودتنا بمعلومات غزيرة بشأن التركيب الاجتماعي والتنظيم الاداري لدى السومريين القدماء . ومن خلال هذه الالواح المكتوبة نستطيع التغلغل ، الى حد ما ، في افئدتهم وارواحهم . وفي الحقيقة لدينا كمٌ هائل من الوثائق الطينية السومرية وهي تحمل الابداعات الادبية التي تنم على دينهم واخلاقهم وفلسفتهم . والفضل في ذلك يعود الى حقيقة كون السومريين احد الشعوب القليلة جداً الذين يحتمل استنباطهم نظاماً للتدوين وكذلك تطويره ليغدو وسيلة حية فاعلة للاتصال .

ثمة احتمال ان نحو نهاية الالف الرابع ق . م ،، وقبل زهاء خمسة آلاف عام ، لمعت في ذهن السومريين فكرة الكتابة على الطين ، وذلك نتيجة لبروز حاجاتهم الاقتصادية والادارية . فكانت محاولاتهم الاولى بدائية وتصويرية ، فأمكن استخدامها لابسط الملاحظات الادارية . لكن الكتبة والمعلمين السومريين في القرون اللاحقة استطاعوا تدريجاً تحوير نظامهم الكتابي وتشكيله بصيغة جعلته يفقد اسلوبه الصوري ، فاضحى نظاماً صوتياً خالصاً للكتابة ، اصطلح عليه . في النصف الثاني من الآلف الثالث ق . م ،، وبات فن الكتابة السومري طيعاً ومرناً بما يكفي لتدوين اعقد الكتابات التاريخية والادبية بيسر .

ثمة شك قليل ان الكتبة السومريين في وقت ما ، قبل نهاية الالف الثالث ق . م ،، كتبوا فعلاً - على الواح الطين والموشورات والاسطوانات - العديد من ابداعاتهم الادبية التي كانت حتى ذلك الحين قيد التداول الشفاهي فقط . غير انه ، بفضل مصادفة آثارية ، تم استخراج عدد قليل فقط من الوثائق الادبية ، تعود الى تلك الحقبة المبكرة حتى الآن (أواسط القرن العشرين) ، مع ان حصيلة هذه الحقبة عينها كانت عشرات الالوف من الرقم الاقتصادية والادارية ، ومئات من النصوص النذورية . ومع حلول النصف الاول من الالف الثاني ق . م ،، وليس قبله ، كانت قد تهيأت مجموعة من عدة آلاف قطعة من الالواح وكسرها المنقوشة بالنصوص الادبية السومرية ، وغالبية هذه المجموعة استخرجت ابان الاعوام ١٨٨٩ - ١٩٠٠ من (نيبور) السومرية (نفرّ الحالية) التي لا تنأى عن بغداد اكثر من ١٠٠ ميل الا قليلاً ، وغالبيتها ترقد حالياً في متحف جامعة فيلادلفيا ، ومتحف الشرق القديم في اسطنبول . واكثرية الالواح الاخرى وشظاياها قد استحصلت من بائعين وليس من الحفريات ، ومعظمها الآن في مجموعات المتحف البريطاني ، ومتاحف اللوفر وبرلين وجامعة يال (YALE) . ان سعة الوثائق تتراوح بين كبيرة ذات ١٢ عموداً منقوشة بنصوص ذات سطور مكتوبة متراصة ، وبين شظايا صغيرة لا تحتوي على اكثر من سطور قليلة مبتورة .

لقد نعت كرامر هذه المدونات السومرية المسمارية بكونها تمثل « اول المدونات » في العالم طراً بشأن كل مواضيع الثقافة والمعرفة والحضارة . ولم يكن هذا النعت عبثاً او مبالغة ، بل كان استناداً الى اللقى ، هائلة العدد ، من الالواح الطينية المكتوبة المستخرجة من بقايا المدن السومرية المندرسة : اور - اوروك - شروياك - لكاش - نيبور (نفرّ) وتل ماري - كيش - وكلاّب وغيرها . وها هو يقدم وصفاً موجزاً لبعض مضامين تلك الرقم : ان النصوص الادبية المدونة على تلك الالواح وشظاياها تعد بالمئات . وهي متفاوتة في الطول بين تراتيل ، سطور كل منها اقل من ٥٠ سطراً ، وبين اساطير يقارب عدد سطور الواحدة منها ١٠٠٠ سطر من وجهة النظر الشكل والمحتوى ، انها تعرض تشكيلة من صنوف واساليب ، بالنسبة الى عصرها ، تعد مذهلة وكاشفة . ففي سومر ، قبل الف عام من تدوين العبرانيين توراتهم ، ومن تاليف الاغريق الالياذة والاوذيسه ، نجد ادباً ناضجاً ، ثرياً ، يشتمل على اساطير وحكايات ملحمية ، وتراتيل ومراثٍ ، ومجموعات عديدة من الامثال واقاصيص ذات مغزى ومقالات . وليس من غير المؤكد جداً التنبؤ ان استعادة هذا الادب القديم الذي طال نسيانه ، واحياؤه سيفضيان الى اسهام كبير في قرننا هذا في الانسانيات (العلوم والثقافات الانسانية) . وللتدليل على اعتقاده بتلك « الاسبقيات » ، اورد في كتابه امثلة متعددة حية من « اوائل النصوص » في التاريخ في مختلف صنوف المعرفة والخبرة والادب والفلسفة والفنون والابداع والتشريع ، وبعضها مدعوم بالصور والشواهد ، ومعزز بالتعليق والتفسير :

المدارس الاولى
اول مثال على استلطاف / استظراف (من تلميذ لاستاذه)
اول قضية جنوح صبياني
اول حرب اعصاب
اول مجلسين تشريعيين
اول مؤرخ
اول تخفيض ضرائبي
اول تشريع (شريعة نرام سن قبل حمورابي)
اول سابقة قضائية

www.dorat-ghawas.com

اول وصفة طبية
اول تقويم زراعي
اول تجربة زراعية في ظل الاشجار
اول نظرية في نشأة الكون وعلم الكونيات
اول افكار اخلاقية (معنوية)
اول ايوب
اول الامثال والحكم
اول الخرافات على السنة الحيوانات
اول المحاورات الادبية
اول فردوس (نعيم)
اول نوح الفيضان
اول حكاية معاد
اول قديس جرجس - قاتل التنين
اول استعارة ادبية (حكايات جلجامش)
اول عصر بطولي في تاريخ الانسان (ادب ملحمي)
اول دليل (فهرس) مؤلفات / مكتبة (كتكوك)

اول عصر ذهبي للانسان (السلام والتوافق العالميان)

ويضيف الدكتور فوزي رشيد اسبقية اخرى وهي (اقدم اصلاح في التاريخ)[٢٢] .

لاحقاً وفي الاعوام الاخيرة من النصف الاول من القرن العشرين المنسلخ ، تهيأت في عام ١٩٤٨ مجموعة اخرى من نصوص ادبية سومرية ، مما حدا بالمعهد الشرقي لجامعة شيكاغو ، وبمتحف جامعة فيلادلفيا ان يرصدا المال اللازم لايفاد بعثة مشتركة لاستئناف التنقيبات في (نيبور) غِبَّ انصرام زهاء خمسين عاماً من التوقف . وعلى خلاف المستبعد ، استخرجت البعثة من الاطمار مئات من الالواح الطينية الجديدة وكسرها ، وهذه قيد الدرس بعناية على يد (ثوركيلد جاكوبسون) من المعهد الشرقي ، وهو احد اشهر علماء وكتاب المسماريات ، وقد ظهر الآن ان المواد المكتشفة حديثاً ستملأ فجوات عدة في الادب السومري المحض . وثمة سبب معقول للامل ان عدداً غير قليل من النصوص الادبية السومرية سيمكن الحصول عليها في العقد المقبل (اي في العقد السادس من القرن الاخير المنصرم) وان هذه النصوص ايضاً ستزيح النقاب عن « اسبقيات » عديدة في ميدان تاريخ الانسان المدون .

a Ur-Nammu Law Code. Hand copy of the Prologue from tablet in Museum of the Ancient Orient.

الصورة (٣)

نسخة يدوية من مقدمة شريعة (اورنمو) نقلاً عن الرقيم في المتحف الشرقي القديم

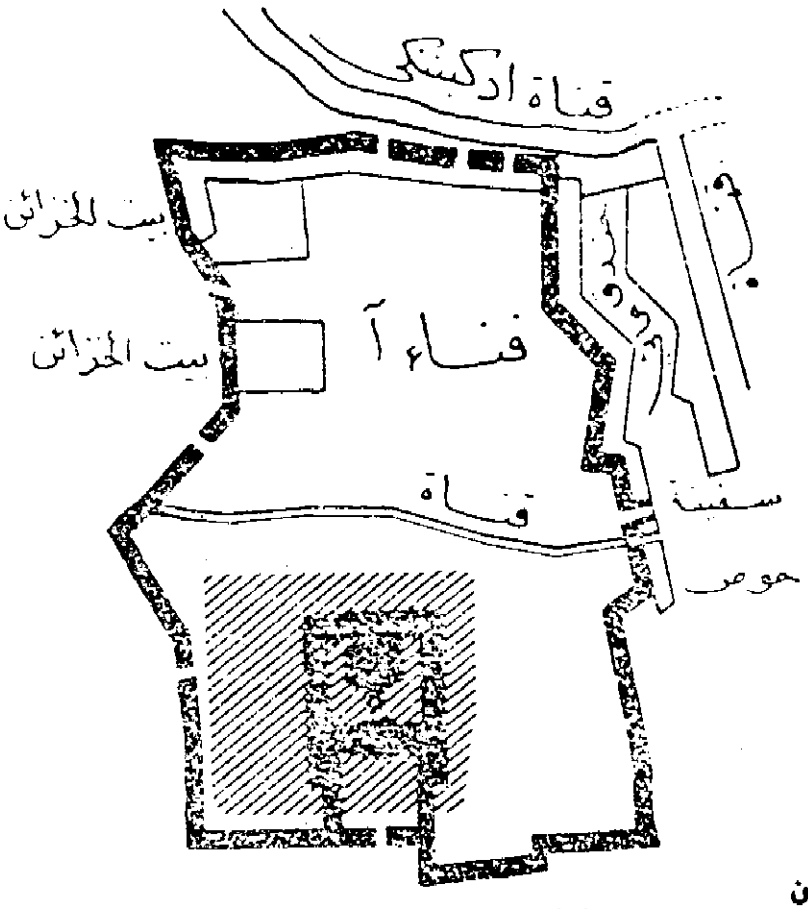

مخطط نيبور بعد التنقيبات الصورة (٤)

www.dorat-ghawas.com

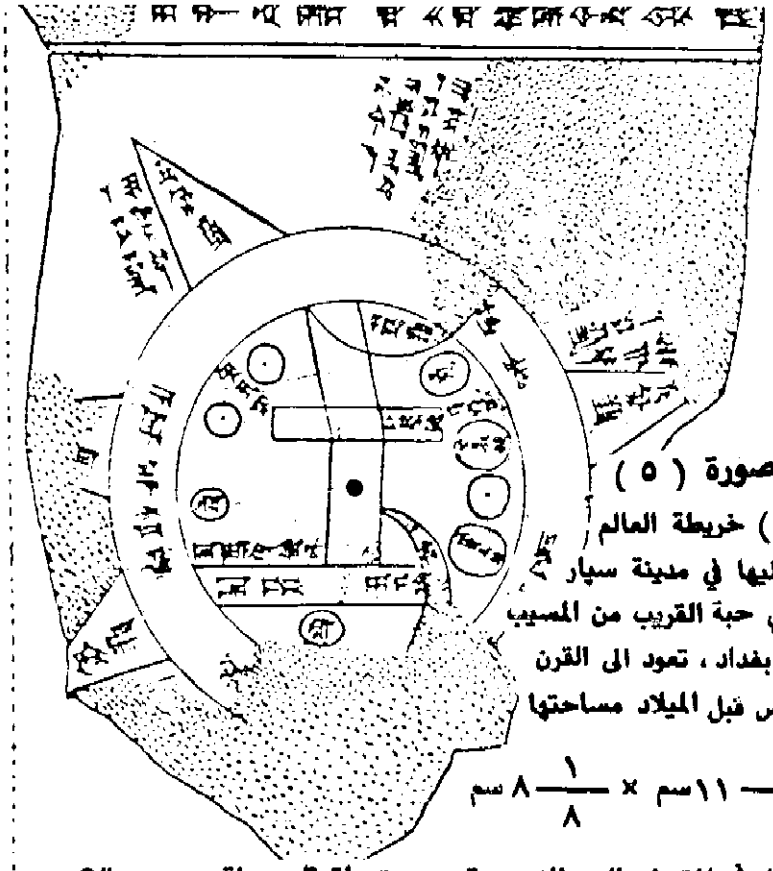

الصورة (٥)

(١) خريطة العالم عثر عليها في مدينة سپار تل ابي حبة القريب من المسيب جنوبي بغداد ، تعود الى القرن السادس قبل الميلاد مساحتها

$$\frac{٢}{١}\ ١١\text{سم} \times \frac{١}{٨}\ ٨\text{ سم}$$

معروضه في المتحف البريطاني ، وقد رسمت لتمثل حملة سرجون الاكدي ٢٥٠٠ ق .م . على بلاد آسيا الصغرى واحتلاله اياها . وترى هذه الخريطة . الارض وهي دائرية الشكل مستوية يحيط بها البحر المتوسط ويجرى في وسطها الفرات ورسمت عليه بابل في الوسط مركزاً للعالم . وقد عينت الممالك بدوائر كتبت فيها أسماؤها وكذلك الجبال .

الصورة (٦)

هذا اللوح محفور عليه بحث في علم الفلك وقواعد حسابية فلكية وكان يستخدم ككتاب يطالعه طلبة علم الفلك البابليون .

خاتمة

ان السومريات ، لا ريب ، تشكّل فرعاً من الدراسات المسمارية ، وهذه بدأت قبل اكثر من قرن سلف . إبان هذه الحقبة اسهم علماء ، يفوقون الحصر ، في بذل الجهود الرامية الى اكتشاف وترجمة النصوص المسمارية التي انتفع بها علماء المسماريات الحاليون واضافوا اليها ما توصلوا اليه من خبرة ومعلومات ، على وعي منهم او بدونه . مات اغلب هؤلاء العلماء من امد ، وعالم السومريات اليوم لا يسعه الا احناء هامته ، تعبيراً عن عرفانه البسيط بفضل مساعيهم ، وهو يستخدم نتائج اعمال سابقيه ، المجهولة اسماؤهم - ايامه ايضاً ستنتهي وشيكاً ، واكتشافاته الاخصب ستغدو شطراً من سيل جماعي باتجاه تقدم علم الكتابة المسمارية .

من الرحالة المتاخرين الذين يدين لهم (كرامر) بالفضل بشكل خاص ، هم : العالم الفرنسي البارز (فرانسوا ثورو - دانغين) الذي ساد المشهد المسماري عبر نصف قرن ، و(انطون ديمل) العالم الفاتكاني الذي امتلك تفهماً حاداً بشان ترتيب وتنظيم المعاجم ، وادوار كييرا - مؤلف « كتبوا على الطين » - الذي بخياله ومثابرته عبد له السبيل نحو بحوثه في الآثار الادبية السومرية . وكان العالم (آرنو پوبيل) مسهماً بارزاً في مجال الادب السومري وفي الدراسات المتصلة بالمواضيع السومرية بشكل عام ، اذ هو الذي وضع علم السومريات على قواعد علمية بوساطة نشره (قواعد اللغة السومرية) عام ١٩٢٣ . لكن اسم (ادوار كييرا) سيبقى بارزاً في حقل بحوث الادب السومري ، فقد كان يمتلك فكرة اوضح من افكار سابقيه عن مدى الاعمال الادبية السومرية وخصائصها

هكذا كانت ولادة الحرف الصوتي في بلاد ما بين النهرين ، التي كانت وما تزال مهد اسبق حضارة مدونة في العالم القديم ، وهكذا افضى مولد الحرف الصوتي الى استنباط نظام كتابي متقن ما لا يقل عن خمسة آلاف عام ، عُرف حتى الآن في عالمنا . فكان ما استخرج من حفائر تلال المدن المندرسة واطلالها من الواح الكتابات المسمارية تعد بالآلاف ، ان ملأ عديداً من متاحف ارقى دول العالم في القرن المنصرم ، لتشهد على اسبقية شعب بلاد وادي الرافدين في مضمار الحضارة ، وميادين العلم والمعرفة والفن ، حتى عُدّ هذا الشعب صاحب « الاوائل » في كل فرع من فروع التدوين المعرفي والابداعي ، واضحت النخبة العارفة المثقفة المستنيرة المستقيمة في كل ارجاء الدنيا تعرف ان اول شريعتين حضاريتين ظهرتا حتى الآن من اعماق تربة بلادنا ، هما شريعة (اورنمو) السومري (٢١٢٤ - ٢١٠٧ ق . م .)[٢٣] وشريعة حمورابي (٧٩٢) - ١٧٥٠ ق . م) ، وان اول اكبر مكتبة في العالم هي مكتبة

www.dorat-ghawas.com

الملك الآشوري (آشور بانيبال) في نينوى (تل قوينجق) . فهاتان الشريعتان وهذه المكتبة شهادة تكفي لتجعل بلادنا فخورة بريادتها في بزوغ اول اشراقات الحضارة والمعرفة والفن ، وهذا ما حدا بالپروفيسور (كرامر) ان يعنون كتابه الثمين المنصف عن حضارة العراق القديم (التاريخ يبدأ في سومر) .

فليس من تاريخ بدون كتابة ، وليس من كتابة بلا نباهة وفطنة والمعية وارادة جبارة ومثابرة . وهذه الخصائص جميعاً اتصف بها سكان وادي الرافدين قبل خمسة آلاف عام ونيف .

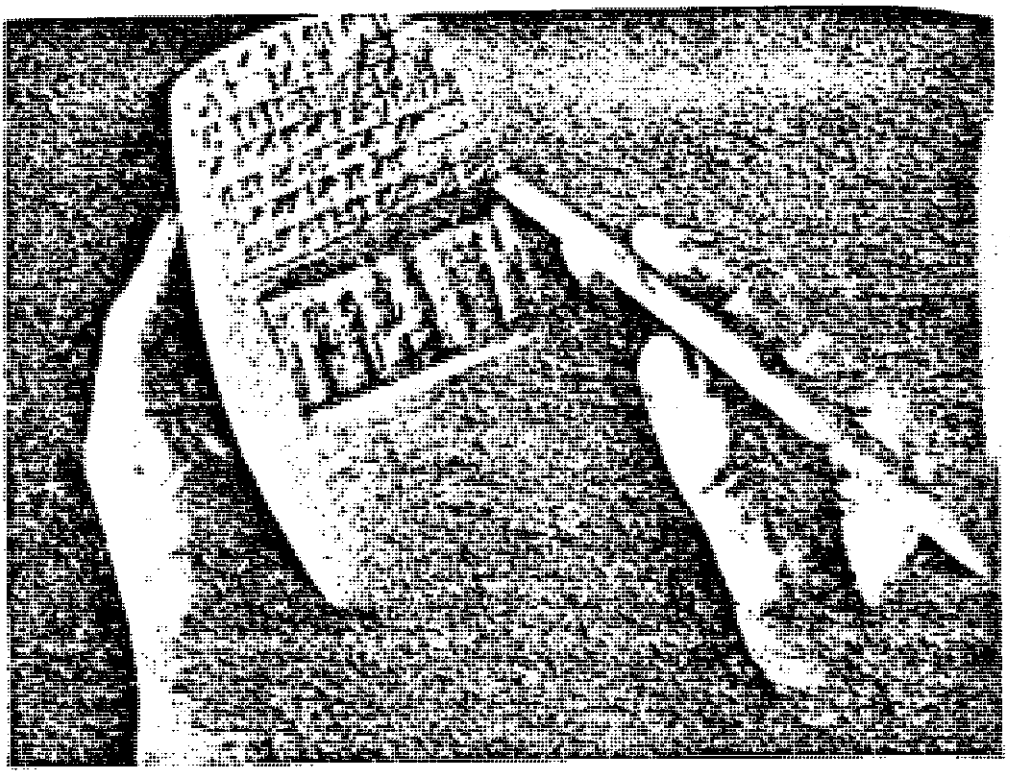

الصورة (٧)

بعض طرق الكتابة المسمارية الاصلية والمتطورة

الهوامش

(١) موجز تاريخ الشرق الادنى - الدكتور فيليب حتّي - دار الثقافة / بيروت - ص ٣٣

(٢) المصدر السابق - ص ٣٤

(٣) موجز تاريخ العالم - تاليف هـ . ج . ولز - ص ٦١ - ط مكتبة النهضة المصرية - ١٩٥٨

(٤) ص ١٤٤ HISTORY BEGINS AT SUMER THAMES AND HUDSON - LONDON , 1981

(٥) موجز تاريخ العالم - ولز - ص ٦١

(٦) المصدر السابق نفسه - ص ٦٢

(٧) المصدر السابق نفسه - ص ٦٢

(٨) دون المصريون القدماء كتاباتهم الهيروغليفية على ورق البردي المعروف بـ(الهايبروس) وقد استورده الفينيقيون (الكنعانيون) من مصر للفرض نفسه في عهد الملك (خوفو) حوالي ٢٦٠٠ ق . م . وقد ظلت الهيروغليفيه قيد الاستعمال حتى قرضتها الابجدية الكنعانية الفينيقية . في هذا الصدد جدير بالذكر ان اول امبراطورية مصريه (فرعونية) قامت في عام ١٦٠٠ ق . م . ، وكان قيامها فاتحة لتاسيس مدنيّة / حضارة الفراعنة ، غير ان قبل تاريخ تلك التاسيس ، قامت امبراطورية في عهد العاهل سرجون الاكدي (٢٣٧١ - ٢٣١٦) واسعة ، ونظيرها سعة واقدم منها بقرون قامت امبراطورية (اوروك) السومرية . وهذه الامبراطورية هي اول ما ذكر التاريخ من امبراطوريات ، وامتدت رقعة سلطانها من الخليج العربي الى البحر الاحمر . انظر الفقرة المنتهية التي يعود اليها الهامش رقم (٣) في اعلاه .

(٩) كتبوا على الطين - تاليف ادوار كيبرا - ص ٣٣ - ٣٤ - مكتبة الجوادي / بغداد - ١٩٦٢

(١٠) المصدر السابق نفسه - ص ٣٤

(١١) المصدر السابق نفسه - ٣٦

(١٢) اوركاجينا - ص ٣ - دار الحرية للطباعة / بغداد - ١٩٩٧

(١٣ - ٢٠) كتبوا على الطين - ص ٣٦ / ٣٧ ، ٤٦ ، ٥٤ ، ٥٧ ، ٥٧ - ٦٧ ، ٦٨ ، ٧٠ ، ٧٩ .

(٢١) طبعة لندن الانكليزية - ١٩٦١ - ص ١٨ - ٣١

(٢٢) كتاب (اوركاجينا) - ص ٣٩ - دار الحرية للطباعة - بغداد - ١٩٩٧

(٢٣) جدير ، في هذا الصدد ، تبيان ان البروفيسور (كرامر) لا يستبعد انه قبل مرور وقت طويل ستبرز شريعة سومرية اقدم من شريعة (اورنمو) بقرن او يزيد (كتابه ص ٩٦) .

www.dorat-ghawas.com